Archive of SID

موضوعات الحِكم والوصايا الفارسية وتوجّهاتها

يعقوب بورنجف*

سيد مجتبى حسينى**

الملخص

شكلت موضوعات الحِكم والأمثال الفارسية، القسم الكبير من الكتب والرسائل المترجمة عن الفارسية وأبرزها فى مجال الفكر والأدب. وكانت كذلک تُعرَفُ باسم كُتب النصائح أو المواعظ، وهى ترجمة الـ<اندرز> أو الـ<الپند> بالفارسية.

يؤكد هذا المقال على أن مثل هذه الكتابات من الجوانب المهمة فى الأدب الفارسى بل هى من أركانه.وبعد تقصى الحقائق التاريخية والأدبية خلال العصور المنصرمة، ومراجعة البحوث الدائرة، يظهر لنا بأنّ للفرس دورا كبيرا فى الأدب العربى بما كتبوا فيه، وأغنوه بمعارفهم ونتاج قرائحهم. وقد نبغ منهم مؤلفون كبار فى شتّى العلوم العربية واللسانية، وانتشرت اللغة العربية فى بلاد فارس، وأصبحت عندهم لغة العلوم والآداب، فتأثر الأدب الفارسى بالأدب العربى إلى حدّ بعيد.

الكلمات‌الدليلية: الحِكم، الأمثال، الأدب الفارسى، الأدب العربى.

١. عضو هيئة التدريس بجامعة آزاد الإسلامية فى بوشهر.

٢. عضو هيئة التدريس بجامعة آزاد الإسلامية فى بوشهر.

Poornajaf12@yahoo.com

تاريخ الوصول: ١٣٨٩/٣/١٨هـ. ش

تاريخ القبول: ١٣٨٩/١٠/١هـ. ش

www.SID.ir

Archive of SID

المقدمة

صلات الفرس والعرب قبل الإسلام وبعده

إنّ الحدود الجغرافية بين الفرس والعرب أكثر من ألف كيلومتر، وكانت هاتان الأمّتان جارتين منذ آلاف السنين، ومازالتا وقد ربطت بينهما أواصر المحبة والودّ وحسن الجوار قبل الدين الإسلامی الحنيف وبعده، وخير شاهد على ما نقول، أثر الصداقة الفارسية العربية فی الأدب العربی قبل الإسلام.

فقد هاجم الأحباش جنوب الجزيرة العربية عن طريق البحرالأحمر، وذلک قبل ظهور الدين الإسلامی الحنيف، ودافع الفرس عن العرب هناک، حيث كانت تربطهم أواصر المودة مع قبيلة (حِمْير) وهی من القبائل العربية الكبيرة، فقد عبَر الجنود الإيرانيون مياه الخليج، حتی وصلوا إلی جنوب الحجاز، وقضوا على الأحباش وأنقذوا أبناء حِمْير مما لحقهم من ظلم على أيدی الأحباش، وذكر المسعودی فی كتابه (مروج الذهب) شعراً لأحد الشعراء الفرس الذين كانوا ينظمون أشعارهم باللغة العربية.

الموضوعات

عالجت حِكمُ الفرس وآدابُهم مسائل وقضايا كثيرة ومُعقّدة، كانت لها أصداء عالية فی حياتهم، حيث وضعت مقاييس للسلوک الاجتماعی، تضمن خير المعاش والمعاد. وتناولت مسائل سياسية واجتماعية ونفسية، وبعض قضايا اقتصادية وعسكرية ذات مساس كبير بحياة الناس والمجتمع فی ذلک الزمان. وفی هذا المقام يمكن اعتداد الموضوعات التی أثارها ابن قتيبة فی عيون الأخبار وابن عبد ربه فی العقد الفريد، تأثّرات مباشرة بموضوعات الحِكم الفارسية. على أن الغايات البعيدة لهذه الحِكم والآداب يمكن إبرازها وحصرها فی اتجاهين اثنين:

١. المحافظه على المُلک، واستمرار بقائه بعيداً عن العابثين. ٢. إصلاح النفس، والحضّ على السيرة الفاضلة فی الحياة، ثم تحقيق المآل المرغوب فی الآخرة عن طريق اتباع ضروب من السلوک توصل إلی هذه الغايات.

وإذا شئنا تحديداً أكثر لموضوعات هذه الحِكم، فإننا نجدها تدور فی الأفلاک

www.SID.ir

Archive of SID

التالية:

السلطان وما يتصل به.

مسائل اجتماعية (التآخى، المشورة، الشكر، الحوائج...).

النفس الإنسانية وما فيها من خلال مُرْديه وخلال منجية، أو ما سَمّاهُ ابنُ قتيبة (الطبائع).

الدين وأهدافه البعيدة (الموضوعات الدينية).

موضوعات أخرى جاءت عارضة على هامش الموضوعات السابقة.

أولا: الموضوعات

احتفت الحِكم الفارسية كثيراً بموضوع السلطان والملك، ولا غرو فى ذلك؛ فقد كان المَلك شغلهم الشاغل، وكان المَلِك ظِلّ الله فى أرضه عندهم، ويعتقدون أنه مزوّدٌ بحق إلهى لا رادَّ له ولا غاصب. وقد عُرِف الإيرانيون منذ زمن سحيق بامتلاكهم أمثل نظام سياسى واجتماعى واضح القسمات بين الملامح، بالقياس إلى الأمم الأخرى المعاصرة لهم.

وموضوع السلطان موضوع حسّاس ودقيق، فتكفى كلمة تنبس بها شفتا المَلك فى ساعة شؤم لأزهاق أرواح بشرية كثيرة العدد؛ وانسياب ضئيل فى تيار الهوى والتعصب المقيت يورث الدّمار والهلاك لأمة بأكملها؛ وتهاون بسيط فى تنفيذ القوانين يجر وراءه عنتاً ونصباً لكيان بشرى كبير. وإذا فالسلطان كان أمراً من صميم حياة الفرس، ولاغرابة أن يحتلَّ مركز الصدارة فى حِكم الحكماء ونتاجات عقول الأذكياء والفقهاء.

وعلى الإجمال يستطيع الباحثُ أن يحددّ الأفكار التى انطوت عليها حِكم الفرس المتعلقة بالسلطان على النحو التالى:

بقاء السلطان واستمراره: ويمكن أن يصنف فى هذا المجال الحِكم المنسوبة إلى أردشير فى عهده المشهور، إذْ يقول أردشير «لاسلطان إلاّ برجال، ولا رجالَ إلاّ بمالٍ، ولا مالَ إلاّ بعِمارةٍ، ولا عمارةً إلاّ بعدل وحسن سياسة.» (ابن بابک، ۱۹۶۷م: ۸۷؛ والثعالبى، ۱۳۰۱ق: ۱۲)

www.SID.ir

Archive of SID

عَدلُ الحاکم: وکثیرة هی الحِکم الفارسیة التی تتناول هذه الفکرة، ومنها قول أردشیر: «لا یکون العمران حیث یجور السلطانُ، وسلطانٌ عادل خیرٌ من مطر وابلٍ، وأسدٌ حطوم خیرٌ من مَلِک ظلومٍ، وسلطان غشوم خیر من فتنةٍ تدومُ.» (ابن بابک، ۱۹۶۷م: ۹۹؛ والثعالبی، ۱۳۰۱ق: ۱۲)

ظلم الحاکم: ومثل ذلک الحکمة المنسوبة إلی أوشهنج: «مَنْ ظلمَ مِنَ الملوکِ فقد خَرجَ مِنْ کرم الملکِ و الحریةِ، وصار إلی دناءة الشر والتشبه بالرعیة والعبید.» (ابن مسکویه، ۱۹۵۲م: ۱۲)

أهلیة الحاکم: کقول سابور بن أردشیر: «إنحطاط ألف من العِلْیة أحمد عاقبةً من ارتقاع واحد من السِّفْلة.» (الثعالبی، ۱۳۰۱ق: ۱۳)

أفضل الملوک: جاء فی آداب بزرجمهر: «قال: أیّ الملوک أفضلُ؟ قلتُ: أرأفهم بالرعیة، وأعظمهم عفواً، وأحرصهم علی المعروف.» (المصدر نفسه: ۳۵)

الملوک ومجالس العلم: یذکر أن أنوشروان سُئِل: فما الخصلة الواحدة الجامعة لنفی قالة الحسدة والأعداء عن الملوک؟ قال: «أن یکون متعلقاً بمجالسة العلماء وأهل الفضل، آخذاً بمحاسن أفعالهم.» (المصدر نفسه: ۶۰)

وثمة أفکار کثیرة تناولتها الحِکم الفارسیة المرتبطة بالسلطان، ولعلّنا قد عرضنا أکثرها دورانا علی ألسنة حکماء فارس وأکثرها اتصالاً بموضوع السلطان.

الحِکم الفارسیة ذات الموضوع الاجتماعی

اهتمت حِکم الفرس بعلاقة الإنسان، تلک العلاقة التی تُعدُّ أساساً لقیام الکیان الاجتماعی المتماسک البنیان المتراصّ الصفوف. وتنطلق هذه الحِکم من مبدأ الحاجة الاجتماعیة إلی الآخرین فی کلّ مجتمع بشری. ولعلّ أهم القضایا الاجتماعیة التی تَعرضّت لها حِکم الفرس ونصائحهم وآدابهم هی:

التآخی (الصداقة): فی خضمِّ الحیاة المتلاطم الأمواج تظهر حاجة الإنسان إلی من یأخذ بیده إلی شاطئ الأمان، وإذْ ذاک فلا سبیل إلاّ الأصدقاء والأعوان، الذین یبثهم الإنسان شکواه ویحکی لهم بلواه، فیجد منهم کلّ عون وتأیید. ولکن الخلّ الوفی

www.SID.ir

Archive of SID

والصديق الصادق هو ثالث ثلاثه يندر وجودهم فى واقع الحياة، حيث يغيبُ الكيد والمكر والخداع وراء ستور الزيف والبهرج. وإذا فلا بدّ من أصول وقواعد تحدد للإنسان مساراً صحيحاً حين يختار أصدقاءه وإخوانه. وقد كثرت الحِكم الفارسية التى تعالج هذا الموضوع. من ذلک ـ مثلاً ـ ما جاء فى آداب بزرجمهر: «خصالٌ يعرفُ بها إخوان العلانية: أن يسترَ الرجلُ منهم على أخيه ما يعرفه من عيبٍ فيه، وأن يحضره بما يحبّ ويغيب عنه ما يكره، ولا يخذله عند الشدة، ولا يحسده فى الرّخاء ولا يشمتُ به فى المصيبة، ولا يكتمه سِرّهُ، ولايفشى عليه أسراره، ولايحرشه على إخوانه، ولايسأله ماله، ولايضن عليه ماعنده.» (المصدر نفسه: ١٩) والمحافظة على الأصدقاء واكتسابهم موضوع خطير، وقد جاء فى آداب بزرجمهر: «قيل: مَنْ أكثرُ صديقاً؟ قلتُ: المتواضعُ، اللين الكلمة، العظيم الخطر، الحَمول للمؤونات.» (المصدر نفسه: ١٦)

المشورة: تعلق الحِكم الفارسية كبير اهتمام على موضوع التشاور والتناصح؛ لما يمثله من اجتماع الآراء لينتخب منها أكثرها سداداً وصواباً. وينسبُ إلى أوشهنج قوله: «المستشيرُ متحصّنٌ عن السّقَط، والمُستبدُّ مُتهورٌ فى الغلط.» (ابن مسكويه، ١٩٥٢م: ١٧) وتشير الحِكم الفارسية بجرأة إلى ضرورة المشورة، إذ يقال إنه: «قيل لقباذ: أىّ شئ أنفعُ للعاقل؟ وأىّ شئ أضرّ له؟ قال: أنفعُ له مشاورة العلماء، والتجربة، والتؤدة؛ وأضرها له الكسل، واتباع الهوى، والعجلة فى الأمور.» ومشورة الجاهل عديمة الجدوى وينبغى الابتعاد عنها؛ فقد سُئِل أنوشروان: «أىّ الأشياء أخلفُ؟ قال: مشورة الجاهل.» (المصدر نفسه: ٥٣) و قال بزرجمهر: «حسب ذا الرأى له أن يستشيرعالماً، ويطيعه.» (القرطبى، لاتا: ٤٥) وقال: «أفره الدواب لاغنى به عن السوط، وأعفّ النساء لاغنى بها عن الزواج، وأعقلُ الرّجال لاغنى به عن المشورة.» (المصدر نفسه: ٤٥٥)

وجاء فى مواعظ آذرباذ لابنه: «ثابرعلى الشكر تكن مستوجباً.» (ابن مسكويه، ١٩٥٢م: ٢٦) وينسبُ إلى أنوشروان قوله: «الصبرُ من الشكر، والشكرُ من الفضيلة وهما نوعان: صبرٌ على طاعه الله تعالى. فالصبرعلى طاعه الله أداء الفرائض، والصبرُ عن معصية الله اجتناب المحارم.» (المصدر نفسه: ٥١)

وتدعو حكمة الفرس إلى إسداء المعروف وبذل العون لإخوان المنشأ والمعاد، فقد

www.SID.ir

Archive of SID

سُئِلَ بزرجمهر: «هل يستطيع أحدٌ يفعل المعروف من غير أن يرزأ شيئاً؟ قال: نعم، مَنْ أحببتَ له الخير، وبذلتَ له الودّ، فقد أصاب نصيباً من معروفک.» ومن هذا القبيل أيضاً ما ينسب إلى بزرجمهر «إذا أقبلتْ عليکَ الدنيا، فأنفق؛ فإنها لاتفنى، وإذا أدبرتْ عنکَ فأنفق، فإنها لاتبقى.»

وهكذا يبدو جلياً أن الحوائج كانت موضوعاً بارزاً من موضوعات الحِكم الفارسية وأفكارها الرئيسة.

الخلال المنجية المردية فی النفس البشرية (الطبائع)

إنّ فی مقدمة القضايا التی استهدفتها حِكم الفرس السيرة الصالحة والسلوک النبيل فی الحياة؛ بما يحقق للإنسان سلامة النفس والبدن وحسن المآل. ومن الطبيعی تبعاً لهذه الغاية أن يجد الباحث فی حِكمة الفرس ذِكرَ محاسن الأخلاق ومعاليها إلى جانب ذكر مساويها وسفاسفها. والمقصود من ذلک هو الترغيب بالتزام جادة الفضائل والمكارم، والتنفير من الأخلاق الفاسدة المزرية. وعلى هذا فقد وجد الفرس فی هذه الحِكم بَلسماً لشفاء الضمائر البليدة والنفوس السقيمة.

١. مكارم الأخلاق

يمكن القول إنّ أهمّ الفضائل التی دعت إليها حِكمُ الفرس هی:

العقل والعلم: ترفع الحِكمةُ الفارسية العقل إلى مرتبة عالية جِدّاً فی سِلَّم الفضائل لايضاهيها فی السّمو والرفعة إلاّ العلم. ويذكَرُ أنه: «قيل لأنوشروان: ما بَذْر جميع الفضائل؟ قال: العقل والعلم. قيل: هل فوق العقل والعلم شئ؟ قال: التوفيق يزينهما، والخذلان يشينهما.» (ابن مسكويه، ١٩٥٢م: ٥١) وتلحّ حِكم الفرس على طلب العلم؛ الذی هو سبيل لصلاح الدين والدنيا؛ فقد قال أحدهم: «لسنا بالكدّ فی طلب المتاع الذی الذی نلتمس به دفع الضر والعَيلة بأحق منا بالكد فی طلب العلم الذی نلتمس به صلاح الدين والدنيا.» (المصدر نفسه: ٦٨) وتحدد حكم الفرس أفضل أنواع العلم، إذ «العلم على أربعة أوجه: أن تعلم أصل الحق، الذی لايقوم إلاّ به، وفروعَه التی لابد منها، وقصدَه الذی

www.SID.ir

Archive of SID

لايقع إلاّ فيه، وضدّه الذى لايفسده إلا هو.» (المصدر نفسه: ٧)

وفى آداب بزرجمهر «خمسة أشياء من سجايا العلماء: ألا يأسَوا على مافاتهم ولا يحزنوا لما لم يصبهم، ولايرجوا مالاً يجوز لهم فيه الرجاء، ولايستكينوا ويفشلوا فى الشدة، ولا يبطروا فى الرخاء.» (ابن مسكويه، ١٩٥٢م: ٣٧)

وثمة كلام أخير عن العلم والعلماء نجده فى «نسخة كتاب بزرجمهرإلى كسرى.» (أنظر: ابن مسكويه، ١٩٥٢م: ٤٨-٤٧)

القناعة والتواضع: وللقناعة والتواضع محل فسيح فى عالم الحِكمة الفارسية. وتحدد لنا حِكم الفرس معنى القناعة ومعنى التواضع، فيذكرُ أنه قيل لأنوشروان: «ما القناعة وما التواضع؟ قال: أمّا القناعة فالرضا بالقسم، وسخاء النفس عما لاينبغى الرغبة فيه. وأمّا التواضع، فاحتمال الأذى من كل أحد، ولين الجانب لمن هو دونك. وقيل له: ماثمرة القناعة، وما ثمرة التواضع؟ قال: ثمرة القناعة الراحة، وثمرة التواضع المحبة.» (ابن مسكويه، ١٩٥٢م: ٥٠)

الحَزم: من الخلال الحميدة التى نبهت إليها حكِم الفرس الحزمُ؛ فقد جاء فى آداب بزرجمهر «من حزمِ الرجل ألا يخادع أحداً، ومن كمال عقله ألا يخدعه أحدٌ.» (المصدر نفسه: ٣٨) وتعرّف حِكمة الفرس الحزم بأنه «انتهاز الفرصة عند القدرة، وترك الونى فيما يخاف عليه الفوت.» (المصدر نفسه: ١٢) والحازم فيما أشكل عليه من الرأى بمنزلة من أضلّ لؤلؤةً، فجمع ما حول مسقطها من التراب، فنخله حتى وجدها، وكذلک الحازم جامع فنون الرأى فى الأمر المشكل، ثم يخلصه، ويسقط بعضه حتى يخلص منه الرأى الخاص. (المصدر نفسه: ١٣) والحزم ينزع عن أربابه شوائب الضعه، إذ «لاضعةَ مع حزمٍ، ولاشرف مع عجزٍ، الحزم مطية النجح، العجزُ يورث الحرمان.» (المصدر نفسه: ١٣)

تعقيب: ليست مكارم الأخلاق التى أسلفنا الحديث عنها هى وحدها موضوعات الحِكم الفارسية، فقد كانت ثمة أنماط خلقية دعت هذه الحِكم إلى التحلّى بها. فالحياء يستر عيوب أصحابه، إذْ إنّ «مَنْ ألبسه الحياءُ ثوبه، غطى على الناس عيبه.» (ابن مسكويه، ١٩٥٢م: ١٧) و«مَنْ جمعَ السخاءَ والحياءَ، فقد استجاد الإزار والرداء.» (المصدر نفسه: ١٥) والكرم، بمقتضى حكمة الفرس، من أمهات الفضائل؛ ذلک أن «ما أكلتَه راح

www.SID.ir

Archive of SID

و ما أطعمتَه فاحَ.» (الثعالبی، ۱۳۰۱ق: ۱۴) والسخاء هو «سماحةُ النفس المستحق البذل، وبذل الرغائب الجليلة فی مواضعها.» (ابن مسکویه، ۱۹۵۲م: ۸) وقد سُئل أنوشروان «ما محض الکرم؟ قال: الوفاء بالذمم.» (المصدر نفسه: ۵۲)

کما تهتم حِکم الفرس بالوفاء والزهد، والتقوی، والنية الصالحة، والأعمال الخيرة، والکلام الحسن، والکياسة والدهاء والمروءة... إلخ.

۲. الخلال المزرية بالنفس الإنسانية (الرذائل)

کان موضوع حديثنا فيما تقدم، الوجه المشرق فی مرآة الحِکم الفارسية، ممثلاً بمکارم الأخلاق وأمهات الفضائل. وتبعا لطبيعة البحث، فإنه لابد من نظرة إلی الوجه الآخر أو القاتم، الذی يمکن تبيينه من خلال کلامهم فی العيوب الخلقيه التی تحطُّ من قيمة الإنسان وتهبط به إلی أدنی مستويات الضّعة والمهانة. علی أن أهم تلک المثالب والمساوئ الخلقية الوضيعة التی أبْرَزتها حِکم الفرس ونفّرت منها:

الهوی: والهوی آفة الآراء وطريق المزالق والأخطاء ترنو إليه النفسُ الفارسية بشزْرٍ، وبغضة. والهوی شَينٌ للملوک ومنقصة؛ فقد قيل لأنوشروان: «ما الذی يعرفُ به الوالی رضا الرب عنه؟ قال: ما رضی اللهُ عن والٍ لايدع لذاتِه وهواه، ولايترک شهواته فی إصلاح رعيته وبَسط العدل فيهم، ورفع الظّلم عنهم.» (المصدر نفسه: ۵۰) و فی آداب بزرجمهر «أنفذُ شئ فی هلاک الإنسان الهوی المتبع.» (المصدر نفسه: ۳۶) وقيل لأنوشروان: «سَمعناکم تقولون: مَنْ کَرِهَ العارَ، فليتجنبْ خمس خصال، فما هی؟ قال: نعم؛ الحِرص، والشّح، واحتقار الناس، والمطل بالعِدة.» (المصدر نفسه: ۵۷) وقيل له: «أیّ الأشياء أولی بالاجتناب؟ قال: أجلها نصيباً من الهوی.» (المصدر نفسه: ۶۰)

الجهل والجهلاء: صبَّتْ حِکمُ الفرس جام غضبها علی الجهل ومن وقعوا فريسة له. ونجد فی هذه الحِکم تحديداً لصفات الجُهّال؛ إذ تقول: «ثمانی خصال من طباع الجهال: الغضبُ فی غير معنی، والإعطاء فی غير حق، إتعاب البدن فی الباطل، وقلة معرفة الرجل صديقه من عدوّه، ووضعه السِّر فی غير أهله، وثقته بمن لم يجربه، وحُسن ظنّه بمن لاعقل له ولا وفاء، وکثرة الکلام بغير نفع.» (المصدر نفسه: ۱۲) ويذکر أنه قيل

www.SID.ir

Archive of SID

لبزرجمهر: «ما بالكم لاتعاقبون الجَهَلة، قال: لأنّا لانريد من العميان أن يبصروا.» (ابن قتيبة، ١٩٥٢م: ٣/١٠٣) وينسب إليه قوله: «ما ورَّثت الآباءُ الأبناءَ شيئاً أفضل من الأدب؛ لأنها تُكتسب المالُ بالأدب، وبالجهل تتلفه فتقعد عُدما منهما.» (المصدر نفسه: ٢/١٢٠)

تعقيب: ثمة رذائل أخرى كثيرة أشارت إليها حِكمُ الفرس، بإسلوب غاية فى التحذير والتنفير، من مثل: الغضب والشهوة والحقد والنميمة والبغى واللجاج... إلخ.

الموضوعات الدينية فى الحِكم الفارسية

تشغل القضايا الدينية حيزاً كبيراً فى ديوان الحِكمة الفارسية. وهذا يتمشّى مع طبيعة الاهتمام الذى يظهره الفرسُ إزاء دينهم، حيث يكنُّون له احتراماً منقطع النظير فالدين عندهم هو: «العُقدة والعُمدة والعُدة.» (الثعالبى، ١٣٠١ق: ١٤) ويحدد لنا بزرجمهر الحكيم ماهية الدين عند الفرس، فيقول: «فإن قيل: ما دين الله؟ قلتُ: دينُ الله: الحَسنات، وحُسن النية، والقول والفعل.» (ابن مسكويه، ١٩٥٢م: ٣٠)

ويرتبط بالدين الفقه فيه، وتذهب حِكمة الفرس إلى أنّ ذلک أمارة من أمارات الكمال؛ إذ: «الكمالُ فى ثلاث: الفقه فى الدين، والصبرُ على النوائب، وحُسن التقدير فى المعيشة.» (المصدر نفسه: ١٤)

وتُصَوِّر لنا حكمة الفرس إيمانهم بالخالق عزَّ وجلَّ، وأن من صفاته العدل، فتذكر أن أنوشروان لما حضره الموتُ أمر أن يكتَب على ناوُوسه: «ما قدّمناه من خير فعند من لايبخس الثواب؛ وما كسبناه من شرٍّ فعند من لايعجز عن العقاب.» (الثعالبى، ١٣٠١ق: ١٤) والإله، كما تصوره لنا حِكمة الفرس، مُستحق السجود من قبل خلقه. وهؤلاء الخلق عليهم أن يؤدّوا هذا الحق؛ إذ الأمر ـ عندهم ـ كما يراه أنوشروان العادل «كلّ الناس أحقاء بالسجود لله تعالى، وأحقهم بذلک من دفعه الله عن السجود لأحد من خلقه.» (المصدر نفسه: ١٤)

موضوعات أخرى فى حِكمة الفرس

ليست الموضوعات التى أسلفنا الحديث عنها هى كل الموضوعات التى غمرتها

www.SID.ir

Archive of SID

الحِكم الفارسية بطوفانها المنداح على مساحة عريضة من قضايا الحياة وشؤونها فی فارس القديمة. فثمة موضوعات أخرى تعرضت لها حيكم الفرس؛ ولكن الإشاره إليها جاءت على شكل عابر، حيث تغيب الوقفات الطويلة التی عرفناها فی الموضوعات السابقة.

ويلحظ الباحثُ اهتمام حكماء الفرس بفكرة السعی فی الحياة؛ كی يصل الإنسان إلى ما تصبو إليه نفسه. وهذه القضية، ذات الطابع العملی المحض، لها وزنها ومدلولها العملی الفعال فی نجاح الأشخاص أو خذلانهم فی الحياة. فالتجربة تُعلِّم الناسَ أنّ الحياة إذا أوصدت أبوابها واكفهرت، فإنّ الولوج سيكون من نصيب مُدمنی القرع لهذه الأبواب. وتسجيب حِكمة الفرس لهذا الموقف العام لتقول للإنسان على لسان يزدجرد بن بهرام «عليک بالسعی وليس عليک بالنجاح، وعليک بالجِدَّ وإن لم يساعکَ الجَد.» (الثعالبی، ١٣٠١ق: ١٤) وأنوشروان العادل يرى أنَّ «مَنْ سعی رعی، ومَنْ نامَ لزم الأحلام.» (المصدر نفسه: ١٤)

ونلمح فی حكمة الفرس أيضاً إشارات عابرة إلى بعض المسائل الاقتصادية، كقول آذرباذ لابنه: «تعهّد مالک بالتثمير وشدة التفقد وإنعام المحاسبة؛ لئلا يلحقک المثل السائر: حين حضر المال عزب العقلُ، وحين حضر العقلُ عزب المال.» (الثعالبی، ١٣٠١ق: ١٣)

وتقول حكمتهم فی هذا المعنى «وعند نزول البلاء تظهر فضائل الإنسان، وعند طول الغيبة تظهر مؤاساةُ الإخوان، وعند الحيرة تنكشف عقولُ الرجال، وبالأسفار تُختبر الأخلاق، ومع الضيق يبدو السخاء، وفی الغضب يعرف صدق الرجال.» (المصدر نفسه: ١٧)

وتُحذِّر الحِكم الفارسية كثيراً من تبدلات الحياة وتقلّب صروف الدهر وأحواله، ويقول حكيمهم: «إذا أنستک السلامة، فاستوحش من العطب، وإذا فرحتَ للعافية فاحزن للبلاء، فإليه تكون الرجعة، وإذا بسطک الأمل، فاقبض نفسک بقرب الأجل، فهو الموعد.» (المصدر نفسه: ٩) ولا يطمئن أنوشروان إلى سرور الدنيا؛ فهو مخطوف الظلّ؛ وحين «سُئِل: مابالكم تحملون على أنفسكم من مؤونة الشفقة ما كان ينقص عليكم

www.SID.ir

Archive of SID

ما أنتم فيه؟ قال: ذاک لعلمنا أنه ليس من سرور الدنيا شئ يؤَمن عليه الآفات والغِير.» (المصدر نفسه: ٥٢)

ثانيا: توجُّهات الحِكم الفارسية

أشرنا فی ما تقدم إلی حكماء الفرس وبيّنا بعد ذلک موضوعات الحِكم الفارسية؛ واستكمالاً لصورة هذه الحِكم يتحتم علينا أن نتبين المسارات التی سلكتها واضعين فی الحسبان من صدرت عنهم هذه الحِكم و من وُجِّهت إليهم... والمستقرى لهذه الحكم يجدها قد اتخذت المسارات التالية:

نصائح الملوک إلی أبنائهم أو من سيخلفهم: لانشک فی أن طريقة الحُكم الوراثی المتبعة فی فارس القديمة، وإيمان الفرس المطلق بضرورة كون خليفة الملک من الأرومة الحاكمة، قد ولّدا حاجة شديدة فی نفوس ملوک فارس لأن يتركوا لمن سيخلفهم من أبنائهم أو من الأسرة الحاكمة عهداً أو وصية، تنطوی علی قواعد عامة، ينبغی أن يأخذ الحاكم الجديد نفسه بها؛ حتی لا يقع فی مزالق وأخطاء تؤدی به وبملكه إلی نهاية غير محمودة. ومن هذا القبيل نصائح الحكيم أوشهنج فی كتاب الحِكمة الخالدة؛ فقد ترک هذه النصائح وصية لخلفه. (انظر: ابن مسكويه، ١٩٥٢م: ١٨-٦) ومن ذلک عهد أردشير لابنه سابور (الفردوسی، ١٩٣٢م: ٥٦-٥٧) وعهد كسری أنوشروان لابنه هرمزد (المصدر نفسه: ١٦٨)، وعهد هرمز بن سابور إلی ابنه بهرام (المصدر نفسه: ٢/٦)، وعهد سابور بن أردشير لابنه. (الجهشياری، ١٩٣٨م: ٧-٥ ؛ ابن حمدون، ١٩٢٧م: ٤٢-٤١) ويدخل فی ذلک أيضاً مواعظ آذرباذ الحكيم لابنه. (ابن مسكويه، ١٩٥٢م: ٢٨-٢٦)

نصائح الملوک إلی وزرائهم: تطالعنا حِكم ونصائح فارسية كثيرة، يتوجه بها الملوكُ إلی وزرائهم، وتنطوی فی الغالب علی إرشادات وتعاليم تحدد لهم النهج القويم فی ضبط الأمور وتسيير الأعمال الموكلة إليهم. ومن هذا القبيل ما جاء فی كتاب لأردشير يخاطب به وزراءه: «اعلموا أنكم إن هممتم ألا تستعينوا إلا من تكاملت فيه الخصال الرّضية، وأحرز المذاهب المحمودة، فقد رمتم شيئاً عسيراً غير موجود. فاكتفوا من دين المرء وورعه، بأن يكون للكبائر والفواحش مجتنباً، ومن الإصرار علی العسف والظلم

www.SID.ir

Archive of SID

مستوحشاً، ومن أمانته وعفافه أن يكون عمّا يعرض له من طمع وأمر فی دخوله ظاهر نقص أو ضرر متنزهاً، ومن غَنائه ونفاذه أن يكون بالعمل الذی تستعينون به فيه مضطلعاً، وأن لايضيع لكم فيما يلی من أموركم حقاً. واعلموا أن لكم أعمالاً يكفيكموها من دونكم وأعمالاً لايضطلع بها سواكم، فاعرفوا حدود ذلک، ولا تتكلفوا ما يكفيكموه من تحت أيديكم، ولاتكلفوا ما يجب عليكم النظر فيه مَنْ سواكم، فإن حدث لكم فراغ بعد قضائكم ما عليكم، فاستعينوا بالتودع والراحة علی ساعات الشغل.» (الجهشيارى، ۱۹۳۸م: ۸) وتجرى علی هذا السنن أيضاً نصيحة كسرى لوزيره؛ إذْ قال: «إياکَ أن تدخل علیّ كثيراً فأملّکَ، فتثقل علیَّ حوائجُکَ، ولاتطل الغيبة عنی فأنساکَ.» (القرطبی، لاتا: ۳۴)

حكم الوزراء ونصائحهم إلی الملوک: عرف كثر من وزراء فارس بعلو كعبهم فی ميدان الحكم والآداب؛ ولذلک لا يجد الملوک كبير حرج وتكلف فی توجيه الأسئله إليهم فيما يجزبهم من شؤون الحياة. وفی هذا المضمار نجد الوزير الحكيم بزرجمهر فارسا مجليا؛ حيث كان يجيب عن أسئله أنوشروان. وقد حفظت لنا هذه الأسئله والإجابات الحكيمه عنها فی «كتاب بزرجمهر إلی كسری لما ساله ذلک.» (المصدر نفسه: ۴۸-۴۵) وهو الكتاب الذی يعتقد أنه سمی ـ فيما بعدـ ظفرنامه، حين ترجم إلی الفارسية بأمر الملک السامانی نوح بن منصور. (انظر: محمدی، ۱۹۶۴م: ۳۸)

حِكم المؤدبين ووصاياهم إلی تلاميذهم: لانعدم فی الحِكم الفارسية نصائح المؤدبين إلی تلاميذهم؛ ذلک أن التأديب كان الطريقة التعليمية الأكثر شيوعاً فی فارس القديمة. من ذلک ـ مثلاً ـ قول أحدهم لتلميذه: «ضعوا مَنْ رَفعتُهُ العامة، وارفعوا مَنْ وضعتُهُ؛ فإنهم لايفعلون شيئاً بعقول تامة، ولابإفهام راجحة، ولا بعزائم صحيحة.» (ابن مسكويه، ۱۹۵۲م: ۶۸)

اهتمام الفرس وعنايتهم بموضوع الحِكم والنصائح والوصايا

للكلمة وقعها فی نفوس أهل الشرق عامة، وقد يخترق صداها حجب الزمان والمكان لدی هذه الجماعات البشرية، لتبقی مؤثرة فاعلة فی نفوس الناس وسلوكهم. وإذا كان مثل هذا الحكم يمكن أن يشمل سائر الأُمم الشرقية، فإنّ أی أثر من الشک ينتفی عن

www.SID.ir

Archive of SID

ذهن الباحث فى تصديقه وصواب الأخذ به حين يتخذ من الفرس القُدامى أنموذجاً للنفس الشرقية المؤمنة بجدوى القول المأثور وصواب الحِكمة وصحة المثل. ويكمن القول إنّ أول حكيم عرفه الشرقُ إنما هو زراددشت الإيرانى القلب واليد واللسان.

ويُعدُّ كتابه الخالد الأفستا مدعاة فخر، ليس بالنسبة للإيرانيين فحسب، وإنما لأمم الشرق قاطبة. فقد استطاع أن يجمع حوله ـ خلال حقبة من الزمان غير قصيرة ـ أمة مبددة الأوصال مزعزعة القوى، فأخذ بيدها إلى حيث الحياة والقوة والغلبة. ولقد أدرك أردشير بن بابَک ـ مؤسس الدولة الساسانية ـ بثاقب بصيرته ضرورة العودة إلى العقيدة الزرادشتية؛ لرأب صدع الأمة ولمّ شعثهَا، بعد أن فتكت فيها المنازعاتُ ونالت منها الخصومات. ولشدّ ما يثير العجب قولُ الخليفة عمر بن الخطاب فى شأن المجوس: «سُنُّوا بهم سنة أهل الكتاب» ولأكثرُ منه إثارةً للعجب أن يساير أتباع زاردشت ركب الحضارة الإسلامية فى العصر العباسى، الذى اقتصر فيه المخاض على طويلى القامات مرتفعى الهام.

ويكن تحديد المطالب التى ابتغتها الحكم والنصائح والوصايا من الإنسان فى ثلاث قضايا: حيث «يطلب من الفرد أن يعمل عملاً طيباً، وأن يقول قولاً طيباً، وأن يفكر إذا خلا إلى نفسه فكراً طيباَ.» (أربرى، ١٩٥٩م: ۴) و يُسمّى هذا الثلاثى كِردار نيک، گُفتار نيک، پندار نيک.

وما يجعل لهذه الحكم والآداب فاعلية وتأثيراً إيجابياً هو أنها واقعية، موضوعة لتطبق فى أوساط المعتقدين، تتجافى عن الخيال والتهويم فى عوالم خارجة عن قدرة الإنسان. حيث تؤكد الأفستا أن «على الإنسان واجبات ثلاثة: أن يجعل العدو صديقاً، وأن يجعل الخبيث طيباً، وأن يجعل الجاهل عالماً.» (ديورانت، لاتا، ج٢: ۴٣٢)

وما من شک فى أن أمر الاهتمام بالحكم والنصائح قد جاوز أعتاب الملوک وبلاطاتهم، ليكون أبرز خصيصة وَسَمت النفسَ الفارسية وتركت فيها آثارها، فثمة قصص وحكايات أخلاقية لا حصر لها كانت منتشرة إيران، وكانت تقصد إلى أخذ العبرة والعظة، حيث يمكن القول إن سلسلة كتب الخداينامِه الپهلوية ـ التى يذكر حمزة الأصفهانى (الفردوسى، ١٩٣٢م: ١/٣٢) أن أحد الموابذة فى عصره قد جمع منها نيفاً وعشرين نسخةً ليصلح منها

www.SID.ir

Archive of SID

تواريخ الفرس ـ كان المقصود منها أن تكون عبرة لذوى البصيرة من الفرس، فقد كان حاديهم يردد مع الشاعر:

وإذا فاتــكَ التفــاتٌ إلى الما ضى فقد غابَ عنكَ وجهُ التأسى

ولم يقف الأمر عند هذا الحد فقد وصل إلينا من العصر الساسانى جملة من الكتب، ترمى إلى غايات تعليمية وتهذيبية وخلقية، عرفت عندهم باسم أَنْدَرزْنامها أو پَنْدْنامها، ويشير مؤلف تراث فارس إلى هذا الطراز من الكتب، فيقول: «وهى التى تعرف بأدب النصح (أندرز)، ولاتزال لدينا نماذج من هذا الأدب. هذا النوع الأخير من الكتابات الذى يعتبر پندنامه بزرگمهر (نصائح بزرجمهر) الوزير الحكيم لكسرى أنوشروان ـ أشهر مثال له ـ لوناً من الإنتاج تميزت به العبقرية الإيرانية، كان له أكبر الأثر على آداب الإسلام التى ظهرت من بعده.» (أربرى، ١٩٥٩م: ٢٦١)

بقى أن نشير إلى أن ثمة جملة من العوامل تكمن خلف هذا الاهتمام والاحتفاء بأدب الحِكم والنصائح والوصايا لدى النفس الفارسية. والحق أن من هذه الأسباب ما يعود إلى الروح الشرقية بوجه عام، ومنها ما تفردت فيه النفسُ الفارسية منذ القدم من طبيعة وخصائص حَتّمت على الفرس إيثار طريقة فى التربية الأخلاقية والتهذيب الاجتماعى، وجدت برهاناً عليها فى ذلك السيل الغامر من الحكم والآداب المنسوبة إلى ملوكهم ووزرائهم وحكمائهم ورجال دينهم على نحو ما يتجلى فى القادم، وعلى الإجمال فالمعتقد لدنيا أن الفرس قد آثروا هذا النمط من التعبير لما يلى من العوامل:

١. أن الديانة الزرادشيتة التى كانت ديانة عامة الفرس تقريباً تنطوى تعاليمها على قدر عظيم من الأوامر والنواهى والوصايا والنصائح التى للناس طريق النجاح والحياة المطمئنة. ولما كانت هذه التعاليم محفوظة فى الكتاب الدينى لهولاء الأفِسْتَا، وكان مفروضاً على الزرادشتى أن يحفظ غيباً قسطاً وافراً من هذه التعاليم، فإنّ من الطبيعى أن يغدو هذا المحفوظ محصولاً ثقافياً ومعارف عامة تأخذ صورة الأقوال المأثورة والتعابير الحكيمة والمثلية.

٢. نظرة التقديس التى يكنّها الشرقى لأجداده وأسلافه واعتباره ما يصدر عنهم من آراء ومواعظ ونصائح أمراً من عظيم القدر جليل المنزلة.

www.SID.ir

Archive of SID

٣. إن الحكم المطلق الذى تبنّاه حُكام فارس، وما كانوا يختصّون به أنفسهم، وتخصُّهم به رعيتهم من نظرية الحق الإلهى للحاكم، كل أولئک جعل ما يصدر عن هؤلاء الملوک والحكام من أقول وخطب ووصايا، حكماً وأمثالاً تحفظ فى الصدور، وتردّدها الألسنةُ مع غير قليل من القدسية والإجلال.

٤. يمكن القول فى خاتمة الحديث إنّ هذه الحكم والنصائح ـ التى كانت تردد شفاها فى الغاب ـ كانت بالنسبة للفرس القدامى بمثابة القوانين التى تجب معرفتها على سائر فئات المجتمع، ويعّد تنكب جادتها مدعاة للعقوبة والتأنيب.

وقد كان لما اتسمت به من سمات أسلوبية وقدرة كبيرة على التعبير باللفظ القصير عن المعانى الجليلة، فضلاً عن وضوحها وإشراقها وشفافيتها وملامستها للنفس البشرية، أن صارت سهلة الحفظ فى ذاكرة المواطن الفارسى الأُمى غالباً، حيث تفعل فعلها فى تصرفاته وضروب سلوكه، وتحدد له معالم طريقه.

وهكذا يبدو جلياً أن أدب الحكم والنصائح والوصايا قد شاع فى الأوساط الفارسية فى وقتٍ مبكر للغاية، حيث تعود بواكيره الأولى إلى عهد زرادشت.

وعندما قامت الدولة الساسانية، زاد الاهتمام بهذا الفن الأدبى الوثيق الصلة بالأخلاق والسلوک، والذى غدا من مميزات العقلية الإيرانية، التى كانت تميل إلى تركيز التجارب والمعارف والمطالب فى ضرب من الكلم القصار ذات الأثر البيّن فى حياة الناس وسلوكهم.

مكانة الأمثال والحِكم بين فنون الأدب

الأمثالُ حِكمة الأمم والشعوب، تبدو فيها نظراتها إلى الحياة ومذاهبها فى الأخلاق الفردية والعلاقات الاجتماعية كما أنها تكشف عن جوانب شتى من حياتها اليومية وكثير من عاداتها ومعتقداتها، وهى بهذا تفضل سائر الفنون الأدبيه التى لاتستوعب هذه الأمور كما تستوعبها الأمثال ولاتفصلها تفصيلها.

والأمثال لغة الشعب كله بجميع طبقاته ومستوياته الفكرية فمنها ما يصدر عن الخاصة، كالحكماء والعلماء والشعراء، ومنها ما يصدرعن العامة وهم سواد الناس، ولهذا

www.SID.ir

Archive of SID

نرى فيها حياة الرجل العادى ومختلف شؤونه واهتماماته وأعماله، وهى فى هذا غير الشعر الذى لا يصدر إلا عن ممتاز من الشعب أوتيت مواهب فنية، تمكنها من صنعه الشعر الذى يعتمد على الخيال والوزن والقافية، ويهتم بأمور لاتهم الرجل العادى كالفخر والمدح والرثاء والهجاء، ومن جاز للدارسين المعاصرين أن يعُدوا الأمثال من قبيل الآداب والفنون الشعبية، لدلالتها على حياة الشعب وصدقها فى هذه الدلالة، والأمثال صادقة فى التعبيرعن الحياة لاتتأثر فى هذا بعاطفة ولاتجنح إلى خيال أو مبالغه تهويل، وإنما تصف الواقع بما هو عليه وبعدتدبر فيه وتأمل له، وذلک عکس الشعر الذى يقوم على العواطف الثائرة والأخيلة المجنحة والمبالغات الممقوتة التى تزيف الواقع وتشوهه أحياناً، ولهذا كانت الأمثال أصدق منه لهجة، وأكثر واقعية، وللأمثال قداستها فى نفوس ولها سلطانها عليهم، بما تتضمنه من أحكام يرتضونها ويجمعون على الإذعان لها حتى إنهم يستشهدون بها فى شتى المواقف، فتصدع بالحق وتحسم الخلاف أو كما يقولون عنها تطبيق المفصل وقد عرف العرب ذلک عنها فاستكثروا منها فى كلامهم شعراً ونثراً، يقول الجاحظ وقد كان الرجل من العرب يقف الموقف فيرسل عدة أمثال سائرة ولم يكن الناس جميعاً ليتمثلوا بها إلاَّ لما فيها من المرفق والانتفاع ومدار العلم على الشاهد والمثل ولا تجد كلاماً أكثر دورانا على الألسنة والأقلام من الأمثال، ومرد ذلک إلى أمرين: هما ما تتضمنه الأمثال من خبرات ومعاون صائبة، وما تمتاز به على سائر أنواع الكلام من إيجاز شديد وهاتان الميزتان جعلتاها أخف على الألسنة وأعلق بالأسماع والأفئدة، كما جعلتاها أيضا أطول عمراً من غيرها فى نفوس الناس وذواكرهم، إذ كلما كان الكلام طويلاً، أو تافه المعنى، أسرع إليه النسيان، بل الضياع وتخلع الأمثال على الكلام روعة وبهاء وتكسبه فخامة وقبولاً، تجعله يصافح المسامع ويلامس القلوب ويقع من النفوس موقعاً كريماً وقد فطن إلى هذا علماء البلاغة فقال أبو هلال العسكرى: «ثم أنى ما رأيتُ حاجة الشريف إلى شئ من أدب اللسان، بعد سلامته من اللحن كحاجته إلى الشاهد والمثل والشذرة والكلمة السائرة فإن ذلک يزيد المنطق تفخيماً ويكسبه قبولاً ويجعل له قدراً فى النفوس وحلاوة فى الصدور ويدعو القلوب إلى وعيه ويبعثها حفظه ويأخذها فى الصدور، ويدعو القلوب إلى وعيه ويبعثها على حفظه ويأخذها

www.SID.ir

Archive of SID

باستعداده لأوقات المذاكرة والاستظهار به أوان المجادلة فى ميادين المجاولة والمصاولة فى حلبات المقاولة، وإنما هو فى الكلام كالتفصيل فى العقد والتنوير فى الروض والتسهيم فى البرود والأمثال نصوص لغوية أصيلة تحمل الكثير من خصائص اللغات وصفاتها فى مفرداتها وتراكيبها، ولهذا يسوقها العلماء جنباً إلى جنب مع النصوص الأخرى، شواهدى على اللغة مفردات وتراكيب.

سعدى الشيرازى شاعر الإنسانية والحِكم

دور الأدب فى حياة الشعوب ذو أهمية بالغة... فهو يحافظ على الذوق البشرى من الانتكاس، على المعنويات الإنسانية من الارتكاس.الجماعة الإنسانية حيّة بما تمتلكه من مقوّمات الحياة. وأهمّ هذه المقومات الذوق الإنسانى والمشاعر الإنسانية... وإذا ضعفت هذه المقومات، دبّ الموت فى حياة الجماعة، وفقدت دورها على ساحة التاريخ.

وشاعرنا سعدى الشيرازى من أولئک المصلحين الذين عاشوا فى أحلک الظروف الاجتماعية، حيث ادلهمّت خطوب الجهل الداخلى والغزو الخارجى لتمزّق وجود الأمة، فحمل قيثارة أدبه وظل يعزف عليها فى أرجاء العالم الإسلامى، ليكون له الدور الخالد فى مخاطبة جيله وكل الأجيال، بلغة تنفذ إلى القلب والروح فتوقظ المشاعر الإنسانية من سباتها، وترفع الإنسانية إلى حيث أراد لها بارئها من عزّة وكرامة.

أشعار الفردوسى نصيحة وحِكمة

وهناک كلام طويل حول الفردوسى والشاهنامة: فى المحسنات اللفظية والمعنوية، وتصوير المناظر الطبيعية الساحرة، ولوحات ميادين القتال، وألوان الأفق، ومظهر السماء ومنظر الرياض والبساتين، وعظمة الجبال، وما إلى ذلک. ووردت فى الشاهنامة أشعار حب ونصيحة وحِكمة بل وعرفان أيضاً.

حتى نهاية القرن الرابع الهجرى كان الشعر الفارسى مقتصراً على شعراء خراسان وفرارود الذين يتكلمون باللهجة الفارسية الدَّرية. وفى أواخر القرن السادس الهجرى

www.SID.ir

Archive of SID

أصبحت إصفهان مركزاً أدبياً كبيراً، وتنوعت مراكز الأدب وانتشرت بدءاً بفرارود والسند وانتهاءً بالنواحی الغربية والجنوبية لإيران.

وتكاملت أشعار الحب والغناء التی كانت متداولة منذ البداية فی الأدب الفارسی، فی القرنين الهجرين الخامس والسادس. وظهرت فی ساحة العرفان المثنويات ذات المفاهيم العرفانية مرفقة بشتی الحكايات والتمثيلات. (صفا، ۱۹۶۱م: ۱۵۴)

منذ منتصف القرن السادس، ولاسيما فی منتصف هذا القرن، ظهر تغييرٌ كبير فی أسلوب الشعر الفارسی، والسبب الجوهری فی ذلک هو انتقال الشعر الفارسی من المشرق الإيرانی إلی شعراء العراق وآذربايجان وفارس. والعامل الأساس فی ذلک هو تلک التغييرات التی حدثت فی الأساليب الفكرية والعقائد والأفكار.

كبار رُوّاد هذا التغيير هم: السيد حسن الغزنوی (ت ۵۵۶ق)، وأثير الدين الأخسيكتی (ت ۵۷۷ق)، وجمال الدين الأصفهانی (ت ۵۸۸ق) و ابنه كمال الدين الاصفهانی (ت ۶۳۵ق)، و ظهير الفاريابی (ت ۵۹۸ق)، ونظامی الگنجوی (ت القرن۷)، والخاقانی الشروانی (ت ۵۹۵ق).

فی القرنين السابع والثامن الهجرين انصرف الشعراءُ عن القصيدة ومالوا إلی الغزل العاطفی والعرفانی الظريف. وظلّ الأسلوبُ الشعری استمراراً لأسلوب النصف الثانی من القرن السادس والذی يدعی اليوم بالأسلوب العراقی، لأن مركزه كان فی مناطق إيران الواسطی والجنوبية. من أبرز شعراء هذه الفترة: المولوی البلخی (۴۰۶ـ۴۷۳ق)، وسعدی (ت۶۹۱ق)، وحافظ (ت۷۹۱ق).

وُلد مولانا جلال الدين البَلْخی الرومی عام ۴۰۶ق، و كانت أسرته تسكن فی بَلْخ منذ أجيال عديدة. من آثاره: المَثنوی المعنوی الذی يدعوه البعضُ بصَيقل الأرواح.ويعد من روائع الشعر العرفانی فی العالم، ويتطرّق إلی شتی الأغراض العرفانية، الأخلاقية، والدينية، والتفسير، والحكايات، ويتألف من ۶ أجزاء.

وله أيضاً كُلياّت شمس أو الديوان الكبير أو غزليات شَمس، ويعدُّ من أبرز آثار الشعر الفارسی العرفانی فی الثقافة الإسلامية والأدب الفارسی.

من آثاره النثرية كتاب فيه ما فيه، الذی يتضمن بعض مجالس الوعظ، غير أن

www.SID.ir

Archive of SID

الباحثين ينسبونه إلى ابنه بهاء الدين أحمد (ولايتى، ۲۰۰۴م: ۳۷۹) وأبو عبدالله مشرف بن مصلح، أو مشرف الدين بن مصلح الدين عبدالله الشيرازى المعروف بالشيخ سعدى، ويعدُّ من أعظم كُتّاب وشعراء الفارسية فى القرن السابع الهجرى. ولد فى شيراز وفقد أباه فى طفولته. ثم ذهب إلى بغداد بعد انهائه للدروس الأولية، واكمل معلوماته فى المدرسة النظامية. ثم سافر إلى الحجاز والشام. وعاد إلى شيراز فى عهد الأتابک أبى بكر بن سعد زَنكى (حكم ۶۲۳ـ۶۵۸ق). صنف فى شيراز بوستان وگُلستان، باسم هذا الأتابک وابنه سعد ابن ابى بكر(ت۶۵۸ق). (المصدر نفسه: ۳۷۹)

النتيجة

كان ولايزال علم الدراسات المقارنة محلّ عناية من كبار الباحثين فى الآداب الأوروبية، يعنون بالكشف عن صلات أدبهم بما سواه من الآداب العالمية وبتفصيل المظاهرالمختلفة لهذه الصلات، وكانت بوادره الأولى قد ظهرت قبل القرن التاسع عشر فى أوروبا، وكان لكلّ ميدان من ميادينه رجالٌ صالوا فيه وجالوا بحيث عادت عليهم بطيب الثمرات على تاريخ أدبهم وبيان مكانته من الآداب العالمية.

فى هذا المبحث يظهر لنا جليا الصلات القديمة التى جمعت بين الأمَتين؛ العربية الفارسية، والوفادات المتبادلة بينهما، وهذه العلاقة بين اللغتين قبل الإسلام وبعده.

ولازالت هذه الدراسة متفاوتة قد تصل إلى مرحلة البدء كما هو الحال فى مواطن كثيرة من بلدان العالم، وكان ذلک السبب من دواعى اختيارى للخوض فى هذه الدراسات الأدبية المقارنة، قاصدًا بذلک أن أكون من ذوى الفضل فى المساهمة من أجل ترقيتها وتطورها ونشرها..

والعلاقة بين اللغة الفارسية والعربية قبل الإسلام وبعده، إن هذه العلاقة ـ قديمة قدم مجاورة بلاد العجم بلغت هذه العلاقة منتهاها من القوة بعد أن دخل الإسلام بلاد فارس وامتزجت الثقافتان وتكونت منها ثقافة إسلامية واحدة.وتأثير اللغة الفارسية فى اللغة العربية أو العربية فى الفارسية لا يمكن حصرها فى سطور أو كتاب؛ لأن هذا التأثير تمَّ فى ميادين متفاوتة وأزمنة مختلفة.ودخول الكلمات الفارسية قبل الإسلام على اللغة

www.SID.ir

Archive of SID

العربية وفی هذا الباب تحدث المقال عن صلات الفرس والعرب قبل الإسلام فی جميع المستويات.تناول المقال باختصارمصادر التأثير الإيرانی والعربی فی التأليف والكتّاب والشعراء ذوی اللسانين واطلاع الفُرس على العربية واطلاع العرب على الفارسية.

القواسم المشتركة بين الأدبين فناً وأسلوباً؛ لترجمة آدابهما وتراثهما ومؤلفاتهما المختلفة فی كل اتجاه...

الأمثال حِكمة الأمم والشعوب تبدو فيها نظراتها إلى الحياة ومذاهبها فی الأخلاق الفردية والعلاقات الاجتماعية كما أنها تكشف عن جوانب شتى من حياتها اليومية وكثير من عاداتها ومعتقداتها وهی بهذا تفضل سائر الفنون الأدبيه التی لاتستوعب هذه الامور كما تستوعبها الأمثال ولا تفصلها تفصيلها.

وكانت للعرب حكم وأمثال ذات قيمة ولكنها كانت محدودة بالنظر لمحدودية البيئة التی تقل تجارب سكانها بنسبة قلة وقائعها وحوادثها ومشاكلها الدنيوية، وكانت بلاد فارس غنية بتباين الحوادث واختلاف الآراء وتصوير الأفكار ونظم الإدارة وتنوع الأحكام الإدارية وكثرة التجارب التی تسدعيها بيئة كبيئتها، وما كانت تبعثه الأحكام الدينية من التأملات وتضارب الأفكار فی جوهرها، فكان لابد وإن تكثر فيها الحكم والأمثال فتصبح قواعد أو شبه قواعد أخلاقية وأدبية واجتماعية غير قابلة للخرم والتزييف فی أكثر مراحلها، وزاد قيمة الحكم الفارسية ما دخل عليها من الفلسفة اليونانية والهندية وما استطاعت أن تتدارسه فی مدة قرون طويلة، فكان لتلك الأفكار والحكم والأمثال شأن كبير فی خميرة الأدب العربی.

المصادر و المراجع

ابن الأثير، على بن محمد. ١٩٦٧م. *الكامل فی التاريخ*. تحقيق نخبة من العلماء. بيروت: نشر دار الكتاب العربی.

ابن بابک، أردشير. ١٩٦٧م. *عهد أردشير*. تحقيق إحسان عباس. بيروت: دار صادر.

ابن حمدون، محمد بن الحسن البغدادی. ١٩٢٧م. *تذكرة ابن حمدون (كتاب السياسة والآداب الملوكية)*. الطبعة الأولی. القاهرة: مطبعة نهضة مصر.

ابن قتيبة، عبدالله‌بن مسلم. ١٩٥٢م. *عيون الأخبار*. القاهرة: دار الكتب المصرية.

www.SID.ir

Archive of SID

ابن مسكويه، أبوعلى أحمد بن محمد. ١٩٥٢م. *الحكمة الخالدة (جاويدان خِرد)*. تحقيق عبد الرحمن بدوى. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية.

ابن منقذ، الأمير أسامة. ١٩٣٥م. *لباب الآداب*. تحقيق أحمد محمد شاكر. مصر: المطبعة الرحمانية.

ابن النديم، محمد بن إسحق الوراق. لاتا. *الفهرست*. نسخة مصورة عن طبعة فلوجل. بيروت: نشر مكتبة خياط.

أربرى، ج.أ. ١٩٥٩م. *تراث فارس*. ترجمة يحيى الخشاب وآخرين. القاهرة: دار إحياء الكتب العربية.

الثعالبى، أبومنصور إسماعيل. ١٣٠١م. *خمس رسائل (له منها رسالتا الإيجاز والإعجاز وبرد الأكباد فى الأعداد)*. الطبعة الأولى. القسطنطينية: مطبعة الجوائب.

الجاحظ، عمرو بن بحر. ١٩٦٨م. *كتاب الآمل والمأمول (المنسوب إليه)*. تحقيق رمضان ششن. الطبعة الأولى. دار الكتاب الجديد.

الجهشيارى، محمد بن عبدوس. ١٩٣٨م. *كتاب الوزراء والكتاب*. تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبيارى وعبد الحفيظ شلبى. الطبعة الأولى. القاهرة: مطبعة مصطفى البابى الحلبى.

الدينورى، أبوحنيفة. ١٩٦٠م. *الأخبار الطوال*. تحقيق عبد المنعم عامر. الطبعة الأولى. القاهرة: دار إحياء الكتب العربية.

ديورانت، ول. لاتا. *قصة الحضارة*. ترجمة محمد بدران. نشر بعناية الإدارة الثقافية فى جامعة الدول العربية.

الفردوسى، أبوالقاسم حسن بن محمد الطوسى. ١٩٣٢م. *الشاهنامة*. ترجمة الفتح ابن على البندارى. تحقيق عبد الوهاب عزام. الطبعة الأولى. القاهرة: مطبعة دار الكتب المصرية.

القرطبى، يوسف بن عبد الله النمرى. لاتا. *بهجة المجالس وأنس المجالس*. تحقيق محمد مرسى الخولى. مراجعة عبد القادر القط. مصر: الدار المصرية للتأليف والترجمة.

المسعودى، على بن الحسين. ١٩٤٦م. *مروج الذهب ومعادن الجوهر*. بيروت: منشورات الجامعة اللبنانية.

محمدى، محمد. ١٩٦٤م. *الترجمة والنقل عن الفارسية فى القرون الإسلامية الأولى (الجزء الأول) كتب الآيين والتاج*. بيروت: منشورات قسم اللغة الفارسية وآدابها فى الجامعة اللبنانية.

www.SID.ir